Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الأول نجده محايدا ومتألما ومتأفقا فى المشهد الثانى ، ولو أطال التحديق لوجد عيونا تلمع بالرغم من النقاب بشهوة الحياة ، لكن المفارقة حينئذ كانت ستفقد حدتها وتتلبس بكتلتها للزجة المختلطة .

وإذا كانت القاهرة هى مدينة نجيب محفوظ التى صنع صورتها وامتلكها وسجلها باسمه فإن الإسكندرية مازال يتنازعها الفنانون الكبار: كافافيس وداريل ويوسف شاهين وإدوار الخراط ، إلى جانب شباب الكتاب مثل إبراهيم عبد المجيد وسعيد سالم وغيرهما ، لكن إدوار فيما يبدو قد قرر فى الأعوام الأخيرة أن يشترى زمنها ومكانها ، تاريخها وموجاتها ، تقدم ليحتكرها ، إنه يخاطبها قائلا : «عشيقتى لماذا تركت نفسك تستباحين؟ لماذا تركت الغرباء ينتهكونك ثم أخذتهم ـ ياقادرة ـ إلى حضنك فإذا هم من بعض عمق جسدك . كيف تستحيلين ـ بالاغتصاب ـ إلى توحد مع الواغلين؟ » .

لكن المشكلة أنه ينهج فى هذا الامتلاك طريقته الخاصة ، يحط فوقها كالنورس بعد غيبة طويلة فيرى فداحة الفارق بين الأربعينيات والتسعينيات فى الأبنية والبشر ، تدهشه التحولات وكأنه كان غائبا عن عالمها ، يستحضر مذاقها وألوانها فى الطفولة والشباب ثم لايلبث أن يشهد أخيلته عنها وهى تحترق ليتبقى منها رماد الواقع المهين ، يكتشفها بعد أن فقدها أو كاد بينما فعل نجيب محفوظ عكس ذلك تماما ، تتبع نمو قاهرته وانتقل فى أحيائها ولعب فى ملاهيها وعواماتها وشهد خاصة توالد الأجيال فيها وتغير أنماط الحياة التدريجى فى أبنيتها العتيقة وملامحها الصلدة ، لم يتحول إلى هجائها لأنه سكب حكمة الحياة فى تطورها لا فى تدهورها ، إدوار يرى بعين الشاعر ويفجع فى مدينته ، لهذا فهو يصحب دائما أبيات الشعر ، يكتبها من الذاكرة فيحرفها مثل قول البحترى :

سقانى بكأسيه وعينيه قادرا بألحاظه دون المدام على سكرى

ولكن المهم أن احتراق الأخيلة يرمز لماهو أبعد ، لشهوة العودة للطفولة ولوعة الحنين إلى الماضى وتبخر أخيلة الرواية وذوبانها فى موج الشعر الذى كان فى البدء ومازال يفرض حضوره عند الغروب .